نُطْقُ مَا لا يَنْطِق
في ضوء السنة النبوية

إعـــداد
دكتور/أحمد محمود بكري
المدرس بقسم الحديث وعلومه
بكلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ،

فالكون كله يسبح الله يقول سبحانه وتعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (١)

وقال تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"(٢)

وقال تعالى: "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (٣)

وقال تعالى:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ" الآية(٤)

تقدسه السماوات السبع ومن فيهن من مخلوقات وتنزهه وتعظمه وتجله، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلوهيته.

---

(١)الحديد آية ١ .

(٢)الحشر آية ١.

(٣)الإسراء آية٤٤.

(٤)النور آية ٤١.

"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١)، أي لا تفقهون لغتهم التي يسبحون بها، فلكل مخلوق قدر من الحياة.

يقول ابن كثير: وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد. (٢)

كذلك الجبال تسبح لله والطير يسبح لله فقد سخرها لداود فكانت تجهر بالتسبيح معه، تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويباً.

يقول سبحانه: "وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ "(٣)

ويقول سبحانه: "إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ "(٤)

وليس معنى ذلك أن الجبال تعقل ولكنها خلق من خلق الله جعل الله بها قدرا من التمييز و أمرها بالعبادة والتسبيح على حسب صفتها وتكوينها ومقدار ما فيها من حياة.

وقد أخبر المولى سبحانه وتعالى أن الجبال والسماوات تغضب من أقوال وأفعال الكافرين فقال سبحانه: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا". (٥)

الجبال كادت أن تخر ساقطة من قول كفار أهل الكتاب أن لله ولداً، والبحار أيضاً كما أنها تسبح لله وما فيها من كائنات كذلك تغضب لله وتستأذن ربها في كل يوم أن تفيض على ابن آدم وتغرقه لما تراه من ظلم وعصيان.

وإذا أذن الله لها حدث ما ترون من أعاصير وموجات مد عاتية تدمر كل شيء أتت عليه كما حدث في جنوب شرق آسيا وفي بعض ولايات أمريكا.

---

(١) الإسراء آية ٤٤.

(٢) تفسير بن كثير ٥/٧٩.

(٣)الأنبياء آية٧٩.

(٤)ص آية ١٨.

(٥) مريم آية ٨٨- ٩٠.

وأيضاً الرعد والسحاب يسبح بحمد الله تعالى.

يقول سبحانه:" **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**" (١)

وإذا كان هذا حال الوجود كله من أنه يسبح اللَّه تعالى، وإن كنا لَا ندرك تسبيحه فكان ذلك دليل وجوب عبادته وحده لَا يعبد سواه، وقد استدرك اللَّه تعالى على حكمه سبحانه بتسبيح الوجود بقوله: "**وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**" أي لَا تنفد بصائركم ومداركم إلى إدراك تسبيحه، لأنه لَا يعلمه إلا اللطيف الخبير "**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**"(٢) سبحانه وتعالى. (٣)

الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدث عن نطق الحيوان والطير والنبات والجماد، مما أثار تساؤلات بين العامة والخاصة تطرأ على الذهن ويعجز العقل وحده عن إدراكها، ويقف اللسان صامتا لعجيب قدرة الله فيها، منها:

كيف تنطق هذه الأشياء ؟ وهل لها إدراك وتمييز وإحساس ؟

وبعد أن شرفنى الله بدراسة السنة وتدريسها جال فى خاطرى أن أجمع الأحاديث النبوية التى تشير إلى نطق الحيوان والطير والنبات و الجماد وكلامها بلغة البشر . وهى العجماوات التى لا تنطق . وأجيب بعد شرحها وبيانها عن سؤال لابد منه، هل نطق هذه الأشياء بلسان الحال أم المقال ؟ وهل على الحقيقة أم المجاز ؟

فاستعنت بالله – سبحانه– وشرعت فى كتابة هذا البحث وأسميته (نطق مالا ينطق فى ضوء السنة النبوية) ٠

---

(١)الرعد آية ١٣.

(٢) الملك آية ١٤.

(٣)زهرة التفاسير ٨ /٤٣٩٠.

وقد قسمته إلى مقدمة وستة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: فأشرت فيها إلى موضوع البحث والسبب من كتابته٠

وأما المباحث الست: فهى على النحو التالى:

المبحث الأول: ذكر ما يتعلق بأرهاصات النبوة ٠

المبحث الثانى: ذكر ما يتعلق بمعجزات النبى ﷺ ٠

المبحث الثالث: ما أخبر به النبى ﷺ وليس بمعجزة ٠

المبحث الرابع: شهادة الجمادات لأصحاب العبادات ٠

المبحث الخامس: ما يتعلق بأشراط الساعة ٠

المبحث السادس:هل كلام هذه الأشياء على الحقيقة أم المجاز ؟

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ٠

وأسأل الله التوفيق والسداد وأن يجنبنى الخطأ و الزلل و أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

د/ أحمد محمود بكرى
خادم السنة بجامعة الأزهر

المبحث الأول: ذكر ما يتعلق بإرهاصات النبوة:

والإرهاص: ما يظهر من الخوارق من النبي قبل ظهوره، كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا ﷺ، أو هو ما يصدر من النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة. (١)

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

عن جابر بن سَمُرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن "

التخريج:

- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. ١٧٨٢/٤ (٢٢٧٧/٢) واللفظ له ٠
- وأخرجه الترمذي في سننه أبواب المناقب باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به. ٥٩٢/٥ ح ٣٦٢٤. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب،بلفظ (ليالي بعثت).
- وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن. ١٧٠/١ ح٢٠ بلفظه.
- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤١٩/٣٤ح ٨٢٨ ٢٠ بلفظه
- وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ١٣٤/٢ ح ٨١٨ بلفظ (ليالي بعثت).

الشرح والبيان:

(١)التعريفات للجرجانى١٦.

قوله: (كان يسلم عليّ) أي يقول السلام عليك يا رسول الله كما في رواية (ليالي بعثت)وهى ظرف لقوله يسلم.

ولفظ مسلم:(إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) [١]

قال النووي: في الحديث معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة:" وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " وقوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله تعالى فيه تمييز بحسبه. [٢]

(١)تحفة الأحوزي ٦٩/١٠.

(٢)شرح النووى على صحيح مسلم ٣٦/١٥.

المبحث الثانى: ذكر ما يتعلق بمعجزات النبي ﷺ:

والمعجزة أمر خارق للعادة، داع للخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار من ادعى أنه رسول من الله. (١)

وقد ذكرت السنة النبوية أحاديث كثيرة لمعجزات النبي ﷺ نخص بالذكر منها ما يتعلق بنطق الجماد أو الحيوان أو النبات.

أ – ما ورد في نطق الجماد:

تسبيح الحصى:

عن أبي ذرﷺ قال: " كنت أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت يوما، فإذا هو قد خرج فاتبعته فجلس في موضع فجلست عنده فجاء أبو بكر فسلم وجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء عمر فجلس، عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمان فجلس يمين عمر، قال: فتناول النبي صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن"

التخريج:

– أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة) باب في ذكر خلافة الراشدين المهديين ٥٤٣/٢ ح ١١٤٦ من طريق عاصم بن حميد عن أبي ذر.

– وأخرجه البزار (البحر الزخار) ٤٣٤/٩ ما رواه جبير بن نفير عن أبي ذر.بلفظه.قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا من حديث سويد بن يزيد،

(١)التعريفات للجرجانى٢١٩ .

عن أبي ذر. ورواه جبير بن نفير وزاد فيه جبير كلاما ليس في حديث سويد ولا نعلم رواه عن سويد غير الزهري ولا رواه عن الزهري غير صالح بن أبي الأخضر، وصالح لين الحديث، وقد احتمل حديثه جماعة من أهل العلم، وحدثوا عنه.

– وأخرجه الطبراني في الأوسط ٥٩/٢ ح ١٢٤٢ باب الألف من اسمه أحمد وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن واحد إلا حميد تفرد به الجارودي عن أبيه.

– وأخرجه في ٢٤٥/٢ ح ٤٠٩٧ وقال لم يرو هذا الحديث عن الزهري عن سعيد بن المسيب إلا محمد بن أبي حميد ولا عن ابن أبي حميد إلا ابن وهب تفرد بهم موهب٠

– وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) كتاب الشمائل باب ما جاء في تسبيح الحصيات في كف النبي ﷺ ثم في كف بعض أصحابه ٦٤/٦.

قال البيهقي في (الدلائل) كذا رواه صالح بن أبي الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السُّلمي عن أبي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كان كبير السّن ممن أدرك أبا ذر بالرّبذة ذكر له عن أبي ذر بهذا.[١]

الشرح والبيان:

في قوله (سبع حصيات أو تسع حصيات) يدل على أن النبي ﷺ كان يحب الوتر.

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٦٤/٦..

وفي قوله (فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهنّ فخرسن) ٠

يدل على بركة يدي النبي ﷺ وهذا نابع من قوة التصديق وتمام اليقين والأنبياء والرسل في أعلى الدرجات ثم يليهم الصديقين في الفضل والتصديق واليقين، ولهذا سبح الحصى في يد أبي بكر وعمر وعثمان.

وقد وضّح لنا القرآن الكريم أكثر الناس يقيناً على الترتيب في قوله تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" (١) وإذا أردنا أن ندرك موطن المعجزة في الحديث وجدنا أن تسبيح الحصى ليس هو المعجزة كما يظن الكثيرون فالحصى يسبح بطبعه مصداقاً لقوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (٢)

ولكن المعجزة في نطق هذا الحصى بالتسبيح حتى سُمع له حنين كحنين النحل.

قال ابن حجر عند ذكره لأحاديث انشقاق القمر وتسبيح الحصى وحنين الجذع وتسليم الغزالة: إنها كلها مشتهرة عند الناس وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة(٣) مع

(١) النساءآية ٦٩.

(٢)الإسراء آية ٤٤.

(٣)يعنى بالطريق الواحدة أى التى تقترب من الحسن وإلا فالحديث له طرق كثيرة ضعيفه.

ضعفها . يقصد طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى . وأما تسليم الغزالة فلم نجد له إسنادا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف والله أعلم.[1]

تسبيح الطعام:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال " اطلبوا فضلة من ماء " فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: " حي على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ " وقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

التخريج :

– أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٩٤/٤ ح٣٥٧٩.واللفظ له.

– وأخرجه الترمذي في أبواب المناقب باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به ٥٩٧/٥ ح ٣٦٣٣ وقال: حديث حسن صحيح. بألفاظ متقاربة

– وأخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب ما أكرم الله النبي ﷺ من تفجير الماء بين أصابعه ١٧٦/١ ح ٢٩بألفاظ متقاربة.

– وأخرجه الإمام أحمد في ٤٠١/٧ ح ٤٣٩٣ بألفاظ متقاربة.

– وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٢٥٣/٩ ح ٥٣٧٢. بألفاظ متقاربة.

(١)فتح البارى ٥٩٢/٦.

الشرح والبيان:

قوله: (كنا نعد الآيات) أي المعجزات والكرامات.

قوله: (بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً) أي: إنذاراً وهلكة[١].

قال الطيبي قوله: وأنتم تعدونها تخويفاً هو من قوله تعالى: "وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" [٢]والآيات إما أن يراد بها المعجزات، أو آيات الكتاب المنزلة وكلاهما بالنسبة إلى المؤمن الموافق بركةً وازديادًا في إيمانه وبالنسبة إلى المخالف المعاند إنذاراً وتخويفاً، يعني لا نرسلها إلا تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له.

قال الملا على القارى: إيراد الآية المذكورة في هذا المقام غير مناسب للمرام، فإن معناه على ما قاله المفسرون: وما نرسل بالآيات، أي بالآيات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله تعالى:"وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا" الآية[٣]

وقوله "إِلَّا تَخْوِيفًا "[٤] أي من نزول العذاب المستأصل، فإن لم يخافوا نزل.

أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن، إلا تخويفاً بعذاب الآخرة، فإن أمْر من بعث إليهم مؤخرٌ إلى يوم القيامة فالتخويف مطلوب من المؤمنين على كلا المعنيين على ما نطق به الكتاب على أبلغ وجه أكده حيث أتى بصيغة الحصر فكيف يستقيم لابن مسعود ﷺ أن ينكر عليهم في عدها تخويفاً ؟ فتبين أن مراده غير هذا المعنى على ما تقدم والله أعلم.

---

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح٩/٣٨٠٨.

(٢)الإسراء / ٥٩.

(٣)الإسراء/٥٩.

(٤)الإسراء/٥٩.

والأظهر أن يقال: معناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب مما يترتب عليها البركة آيات ومعجزات وأنتم تحصرون خوارق العادات على الآيات المقترحة التي يترتب عليها مخافة العقوبة. (١)

قال ابن حجر: الذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفاً وإلا فليس جميع الخوارق بركة فإن التحقيق يقتضي عد بعضها بركة من الله كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل وبعضها بتخويف من الله ككسوف الشمس والقمر كما قال ﷺ: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بها عباده " (٢).

وكان القوم الذين خاطبهم عبد الله بن مسعود ﷺ بذلك تمسكوا بظاهر قوله تعالى: "وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ". (٣)

قال القارى: وسميت آية لأنها علامة نبوية، فقيل: أراد ابن مسعود ﷺ بذلك أن عامة الناس لا ينفع فيهم إلا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف، وخاصتهم يعني الصحابة كان ينفع فيهم الآيات المقتضية البركة.

و حاصله أن طريق الخواص مبني على غلبة المحبة والرجاء، وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناء، ويسمى الأولون بالطائرين المجذوبين المرادين.

والآخرون بالسائرين السالكين المريدين، وتفصيل هذا المرام مما لا يقتضيه المقام.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٨٠٨/٩.

(٢) أخرجه النسائى كتاب الكسوف باب كسوف الشمس والقمر ١٢٤/٣ ح١٤٥٩بلفظه ٠ وأخره البخارى فى كتاب الكسوف باب الصلاة فى كسوف الشمس ٣٤/٢ ح ١٠٤١ بألفاظ متقاربة.

(٣)الإسراء آية ٥٩. فتح البارى ٦/ ٥٩١.

وفيه مدح للصحابة الذين أسعدوا بصحبة خير البرية ولزموا طريقته، وذم لمن عدل عن الطرق المستقيم.

قوله: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء)

قال ابن حجر: يشبه أن يكون غزوة الحديبية لثبوت نبع الماء فيها، وقد وقع مثل ذلك في تبوك ثم وجدت البيهقي في الدلائل جزم بالأول لكن لم يُخرّج ما يُصرح به .

ثم وجدت في بعض طرق هذا الحديث عن أبي نعيم في الدلائل أن ذلك كان في غزوة خيبر فأخرج من طريق يحي بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن إبراهيم في هذا الحديث قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فأصاب الناس عطش شديد فقال يا عبد الله التمس لي ماء فأتيته بفضل ماء في إداوة " الحديث٠ وذكر ابن حجر: أن هناك ما يدل على تكرار وقوع ذلك حضراً أو سفراً "

قوله: " حي على الطهور المبارك " أي هلموا إلى الطهور – بفتح الطاء– والمراد به الماء ويجوز ضمها والمراد الفعل أي تطهروا.

" والبركة من الله " " البركة " مبتدأ، والخبر " من الله " وهو إشارة إلى أن الإيجاد من الله.

والبركة: هي حصول الخير الإلهي في الشيء ٠

والحكمة في طلبه ﷺ في هذا الموطن فضلة الماء لئلا يظن أنه الموجد للماء.

ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن الله أجرى العادة في الدنيا غالباً بالتوالد وأن بعض الأشياء يقع بينها التوالد وبعضها لا يقع ومن جملة ذلك ما نشاهده من

فوران بعض المائعات إذا خمرت وتركت زماناً، ولم تجر العادة في الماء الصِّرف بذلك فكانت المعجزة بذلك ظاهرة جداً. (١)

قوله: (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)

أي في عهد النبي ﷺ غالباً. وهذا هو الشاهد من حديثنا ٠

(١) فتح البارى ٦/ ٥٩٢.

حنين الجذع:

عن عبد الله بن عمرﷺ قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنَّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه.

وعن أنس بن مالك ﷺ " أن رسول الله ﷺ خطب إلى لِزق جذع واتخذوا له منبراً فخطب عليه فحن الجذع حنين الناقة فنزل النبي ﷺ فمسَّه فسكت "

التخريج:

-أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٩٥/٤ ح ٣٥٨٣ عن عبد الله بن عمرﷺ بلفظه٠

- وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب في آيات نبوة النبي ﷺ ٥٩٤/٥ ح ٣٦٢٧ عن أنس بن مالكﷺ وقال: وفي الباب عن أبيّ وجابر وابن عمر وسهل بن سعد وابن عباس وأم سلمة، ثم قال حديث أنس هذا حديث حسن صحيح غريب.

- وأخرجه ابن ماجه في أبواب إقامة الصلوات باب ما جاء في شأن بدأ المنبر ٤٥٤/١ ح ١٤١٥ عن ابن عباس وعن أنس.

بلفظه وزاد فيه " فأتاه فاحتضنه فسكن فقال: " لو لم احتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة "

- وأخرجه في نفس الموضع ٤٥٥/١ ح١٤١٧ بألفاظ مختلفة وزاد فيه " حتى سمعه أهل المسجد "

- وأخرجه الإمام أحمد ٢٢٧/٤ ح ٣٤٠٠ عن ابن عباس وأنس

- واخرجه في ١٨٧/٢٢ ح ١٤٢٨٢ عن جابر بن عبد الله

الشرح والبيان:

قوله: " فحن الجذع "

قال السندي في شرحه على سنن ابن ماجه: من (الحنين) وهو صوت كالأنين يكون عند الشوق لمن يهواه إذا فارقه، ويوصف به الإبل كثيراً.

قال الجوهري: الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حنَّ إليه وحنين الناقة صوتها في نزعها إلى ولدها.

فاحتضنه: أي أعتنقه والتزمه. (١)

في قوله: " لزق جذع "

قال المباركفوري: اللزق: بكسر اللام وسكون الزاي وبالقاف قال في المجمع يقال: داره لِزق دار فلان ولاصقة.

وفي مختار الصحاح: يقال فلان لِزقي وبلزقي ولزيقي أي بجنبي.

والجذع: – بكسر الجيم – ساق نخلة.

قوله: " فحن الجذع حنين الناقة " أي صات كصوت الناقة وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها.

في حديث جابر عند البخاري:" فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تأن أنين الصبي الذي يسكن".

وفي رواية له" فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشار فسكت" وفي رواية ابن عمر " فالتزمه فسكن ". (٢)

قال أنور شاه: في بعض الروايات القوية أن الجذع انشق وفي ثلاث روايات قوية أنه دفن عند وضع المنبر، وعندي روايات تبلغ عشرين تدل على وجود المنبر في السنة الثانية والثالثة والرابعة وهكذا إلى العاشرة . (٣)

قال ابن حجر: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه. (٤)

---

(١)شرح السندي على سنن ابن ماجه ١/ ٤٣٣ .

(٢)تحفة الأحوزي ١٠ /٧٦.

(٣)العرف الشذي شرح سنن الترمذي ١٧/٢.

(٤)فتح الباري ٦٠٢/٦

قال الطحاوي: في هذه الآثار في الجذع ما ذكر فيها مِنهُ من دفنه بأمر رسول الله ﷺ ومن أَخذ أُبّي إياه وأنه لم يزل عنده حتى صار رفاتاً، ومن ذكر الموضع الذي دفن فيه، وأنه قد يجوز أن يكون أخذ أبي ّ إياه بعد ما دفن، ليكون عنده على حال أصون له من الدفن، فلم يمنع من ذلك لهذا المعنى، فلم يزل عنده حتى بلى وصار رفاتاً، والله أعلم بحقيقة ما كان في ذلك.

غير أن في هذه الآثار أن الله تعالى أحدث في ذلك الجذع ما أحدثه فيه مما وقف عليه الناس منه مما لم يكن موهوماً من مثله حتى أحدثه الله عز وجل فيه وجعله علماً من أعلام نبوة نبيه ﷺ وفضيلته، ليكون ذلك تنبيهاً للناس على معرفة موضعه منه جل وعزّ. (١)

قال ابن حجر: في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " على ظاهرة، وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً فقلت أعطى عيسى إحياء الموتى. قال: أعطى محمد حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك. (٢)

(١)شرح مشكل الأثار ١٠ / ٣٨٧

(٢)فتح الباري ٦٠٢/٦.

تسليم الأشجار والجبال:

عن عباد بن أبى يزيد[١] عن علي ﷺ قال: " كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله " ٠

التخريج:

– أخرجه الترمذي في سننه أبواب المناقب باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به ٥٩٣/٥ ح ٣٦٢٦ واللفظ له ٠ قال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، وقال: عن عباد بن أبي يزيد، منهم فروة بن أبي المَغْرَاء ٠

–وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر والبهائم والجن ١٧١/١ ح ٢١ بألفاظ متقاربة.

– وأخرجه الحاكم في مستدركه كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة.٦٧٧/٢ ح ٤٢٣٨ قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. [٢]

الشرح والبيان:

قوله: (في بعض نواحيها) جمع ناحية وهي الجانب أي في بعض جوانبها(أى مكة). [٣]

---

(١)عباد بن أبى يزيد قال الذهبى: لايدرى من هو تفرد عنه إسماعيل السدى بحديث تسليم الشجر. قال ابن حجر: مجهول.
ميزان الاعتدال ٣٧٨/٢– تقريب التهذيب ٢٩١/١ .

(٢) قد أخرجه الحاكم عن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام و هو ثقة وصححه على شرط الشيخين، و لا أدرى كيف وافقه الذهبى وقد أثبت فى(ميزان الاعتدال) تفرد اسماعيل السدى عن عباد بن أبى يزيد بهذا الحديث .

(٣)تحفة الأحوزي١٠ /٧٠ .

تسليم الحجر على رسول الله ﷺ:

عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن " قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب ٠

التخريج:

- أخرجه الترمذي في أبواب لمناقب باب في آيات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به ٥٩٢/٥ ح ٣٦٢٤و قال: حديث حسن غريب.
- وأخرجه الإمام أحمد ٥١١/٣٤ ح ٢١٠٠٥ بلفظ مقارب٠
- وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ١٣٤/٢ح ٨١٨ بلفظ مقارب٠
- وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٤٥٩/١٣ح ٧٤٦٩بإسناد حسن.
- وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) ٤٥/٢ ح ٢٠٢٨بلفظ: (إن بمكة حجراً كان يسلم علي إني لأعرفه إذا رأيته)

الشرح والبيان:

قوله (كان يسلم عليّ): قال المباركفوري: أي يقول السلام عليك يا رسول الله كما في رواية " ليالي بعثت" وهى ظرف لقوله: (يسلم).

ولفظ مسلم (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) [١]

حديث الذئاب:

قال الدارمي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل من مزينة أو جهينة قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر فإذا هو

(١)تحفة الأحوزي ٦٩/١٠ .

بقريب من مائة ذئب قد أقعين وفود الذئاب فقال لهم رسول الله ﷺ: " ترضخون لهم شيئاً من طعامكم وتأمنون على ما سوى ذلك " فشكوا إلى رسول الله ﷺ الحاجة قال: " فآذنوهن " فخرجن ولهن عواء.

التخريج:

- أخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/١٧١ ح ٢٢واللفظ له.
- ذكره ابن حجر في (المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية) كتاب المناقب باب معرفته ﷺ بكلام البهائم ١٥/٥٧١ ح ٣٨٢٠ قال: قال أحمد بن منيع: حدثنا أبو أحمد الزبيري ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل من مزينة أو جهينة. بألفاظ متقاربة (هذه وفود الذئاب تسألكم أن ترضخوا من فضول طعامكم) [(١)].

الشرح و البيان:

قوله:(رضخ) وَيُقَال: رضخ فلَان لفُلَان شَيْئا من مَاله إِذا أعطَاهُ قَلِيلا من كثير وَالِاسْم الرضيخة. وَيُقَال: أعطَاهُ رضيخة من مَاله ورضاخة زَعَمُوا.
وَيُقَال: رضخ رَأسه بِالْحجرِ إِذا شدخه.[(٢)]

(١) الحديث مرسل ضعيف تفرد به شمر بن عطية وهو لا يروى إلا عن التابعين وقدر رواه عمن لم يعرف فجمع مع الإرسال جهالة عين من روى عنه .
(٢)جمهرة اللغة ١/٥٨٧ .

حديث الجمل:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: " أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إليّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ هدفاً أو حائش نخل، قال فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: "من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟"، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: "أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه"

التخريج:

– أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ٢٠٠/٤ ح ٢٥٤٩ بإسناد حسن٠

– وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٥٧/١٢ ح ٦٧٨٧ عن عبد الله بن جعفر بإسناد صحيح ٠

– وأخرجه الطبراني في(المعجم الكبير) ١٤٨/١٤ ح ١٤٧٧٦

–و أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الجهاد ١٠٩/٢ح ٢٤٨٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

شواهدالحديث:

– أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٩٠/٢٦ ح ١٧٥٤٨ عن يعلى بن مرة ٠

– وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الفضائل باب ما أعطى الله تعالى محمد ﷺ ٣٢٠/٦ ح ٣١٧٥٣ مطولاً عن يعلى بن مرة ٠

– وأخرجه البزار (البحر الزخار) مسند عبد الله بن مسعود بألفاظ مختلفة ٠

– وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) ٧٩/١٠ ح ١٠٠١٦ عن عبد الله بن مسعود

الشرح والبيان:

يقول العظيم آبادي: [1] (فأسر) من الإسرار أي الكلام على وجه لا يطلع عليه غيره (لحاجته) أي لحاجة الإنسانية

(هدفاً) كل بناء مرتفع مشرف ٠

(أو حائش نخل) – بحاء مهملة وشين معجمة– هو النخل الملتف المجتمع كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضاً وعين كلمته واو لا واحد له من لفظه.

وقال الخطابي: الحائش جماعة النخل الصغار ٠

(حائطاً) أي بستان (فإذا) للمفاجأة

(فلما رأى) أي الجمل (النبي) بالنصب على المفعولية (حنّ) أي رجع صوته وبكى (وذرفت) – بإعجام الذال وفتح الراء– أي جرت (عيناه) أي عين الجمل (ذِفرَاه) – بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء وراء مقصورة – .

قال الخطابي :الذفري من البعير مؤخَّرُ رأسه وهو الموضع الذي يعرف من قفاه ٠ وقال في النهاية: ذِفرَى البعير أصل أذنه وهي مؤنثة وهما ذِفريان وألفها للتأنيث

)وتدئبه): أي تكرهه وتتعبه وزناً ومعنى، ويقال دأب يدأب دأباً وأدأبه.

قال المنذري: وأخرجه مسلم وابن ماجه وليس في حديثهما قصة الجمل. [2]

في هذا الحديث: معجزة من معجزات النبيﷺ الدالة على صدقة.

وفيه: تواضعهﷺ وكمال شفقته، ومزيد رحمته.

وفيه: جواز قولهم: رب هذا الجمل، ورب الإبل، يعني مالكها.

وفي رواية لأحمد: فقال النبيﷺ: «انظر لمن هذا الجمل». قال: فخرجت ألتمس صاحبه، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته له. فقال: «ما شأن جملك هذا» ؟

(١)عون المعبود ١٥٨/٧ ٠

(٢)عون المعبود وحاشية بن القيم ١٥٩/٧

فقال: ما شأنه لا أدري، والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره، ونقسم لحمه. قال: «فلا تفعل».

قوله: «أفلا تتق الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه يشكوا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه».

وفي رواية لأحمد: «شاكيًا كثرة العمل، وقلة العلف».

قال الأزهري: البهيمة في اللغة معناها المبهمة عن العقل، والتمييز.

والمعنى: ألا تتقي الله في ما لا لسان له فتشكو ما بها من جوع، وعطش ومشقة، فهو أبلغ في الأمر بالتقوى فيها من نحو اتق الله. (١)

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٤٥٣/٦.

شهادة الشجر:

عن ابن عمرﷺ قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ أين تريد قال: إلى أهلي قال: "هل لك في خير؟" قال: وما هو؟ قال: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله " فقال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: " هذه السَّلَمَةَ " فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت، فكنت معك.

التخريج:

– أخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١٦٦/١ ح ١٦ بإسناد صحيح

– وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٤/١٠ ح ٥٦٦٢ بإسناد حسن

–وأخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب المعجزات وذكر شهادة الشجر للمصطفى ﷺ بالرسالة ٤٣٤/١٤٠ ح ٦٥٠٥ بلفظ (السَّمُرَةُ)

– وأخرجه الطبراني في (الكبير) ٤٣١/١٢ ح ١٣٥٨٢ بلفظ هذه (الشجرة)

الشرح والبيان:

السَّلَمة: شجرة إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصانها عصبا شديدا حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوها(١).

وهى شَجَرَة ذَات شوك يدبغ بورقها وقشرها، وَيُسمى وَرقهَا القَرَظ، لَهَا زهرَة صفراء فِيهَا حَبَّة خضراء طيبَة الرّيح تُؤْكَل فِي الشتَاء، وَهِي فِي الصَّيف تخضر(١).

(١)الصحاح تاج اللغة ١٨٣/١.

(وخدَّ) الواو والخاء والدال: كلمة واحدة. يقال وخَدَت الناقة تخُد وخْدَانا، وهو سعة الخطو [٢].

الْوَخْدُ: ضَرْب مِنْ سَيْر الْإِبِلِ سريعٌ. يُقَالُ: وَخَدَ يَخِدُ وَخْداً. [٣]

شهادة النخلة:

عن ابن عباسﷺ قال أتى رجل من بني عامر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: " ألا أريك آية " قال: " بلى "، قال: " فاذهب فادع تلك النخلة " فدعاها فجاءت تنْقُزُ بين يديه، قال: قل لها ترجع، قال لها رسول الله ﷺ: «ارجعي» فرجعت حتى عادت إلى مكانها، فقال: يا بني عامر، ما رأيت رجلا كاليوم أسحر منه ٠

التخريج:

– أخرجه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١٧٣/١ ح ٢٤ بإسناد صحيح واللفظ له.

– وأخرجه أحمد في مسنده ٤٣٤/٣ ح ١٩٥٤ بلفظ (ادع ذلك العِذق) [٤]

– وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٢٣٦/٤ ح ٢٣٥٠ وفي آخره فقال: " والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبداً، ثم قال يا آل عامر بن صعصعه إني والله لا أكذبه بشيء يقوله بعدها أبداً.

– وأخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب المعجزات وذكر ما أبان الله جل وعلا من دلائل صفيه ﷺ ٤٥٣/١٤ ح ٦٥٢٣ بلفظ أبي يعلى.

=

(١)تهذيب اللغة٣١١/١٢.

(٢)مقاييس اللغة ٦ /٩٤.

(٣)النهاية فى غريب الحديث ٥ /١٦٣

(٤)الْأَصمعى: الْعِذْقُ عند أهل الحجاز النخلة ٠ غريب الحديث لابراهيم الحربى٤٣٨/٢ ٠

– وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) ١٠٠/١٢ ح ١٢٥٩٥ بفظ " فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه فقام بين يديه "

–وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة كتاب الشمائل باب مشي العذق الذي دعاه محمد ﷺ إليه حتى وقف بين يديه، ثم رجوعه إلى مكانه بإذنه، وما في ذلك من دلائل النبوة ١٦/٦

وذكر فيه لفظ " يا آل عامر بن صعصعه والله لا أكذبه بشيء يقوله أبداً "

قال البيهقي: كذا قال سالم بن أبي الجعد وذكر في هذه الرواية تصديق الرجل إياه كما هو في رواية سماك ويحتمل أنه توهمه سحراً، ثم علم أنه ليس بساحر فآمن وصدق والله أعلم.

الشرح والبيان:

نَقَزَ وأَنْقَزَ، إذا وَثَب. النقزان: الوثب. تَنْقُزُ مِنَ الرَّمْضاء» أَيْ تَقْفِز وتَثِبُ، مِنْ شدَّة حَرارة الأرض. وقد نَقَزَ وأَنْقَزَ، إذا وَثَب. (١)

فالنخلة جعلت تقفز وتثب تنفيذا لأمر رسول اللهﷺ وكأنها سمعت الأمر وقالت سمعا وطاعة فلسان حالها أبلغ من مقالها وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

نطق الشجرة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو جالس حزين قد خضب بالدماء، قد ضربه بعض أهل مكة، فقال: ما لك؟ فقال: "فعل بي هؤلاء، وفعلوا"، قال: أتحب أن أريك آية؟ قال: "نعم، أرني" فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، قال: ادع تلك الشجرة،

(١)النهاية فى غريب الحديث ١٠٥/٥ – غريب الحديث لابن قتيبة ٦١٠/١.

فدعاها فجاءت تمشي، حتى قامت بين يديه، قال: قل لها فلترجع، فقال لها، فرجعت حتى عادت إلى مكانها، فقال رسول:ﷺ "حسبي"

التخريج:

-أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ١٣٣٦/٢ ح ٢٠٢٨ واللفظ له بأسناد صحيح.

-وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١٧٢/١ ح ٢٣ ٠

- وأخرجه أحمد في مسنده ١٩ / ١٦٥ح ١٢١١ بألفاظ متقاربة

- وأخرجه بن أبي أبي شيبة في مصنفه كتاب الفضائل باب ما أعطى الله تعالى محمد ﷺ ٣١٧/٦ ح ٣١٧٣٢ بألفاظ متقاربة٠

- وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٥٨/٦ح ٣٦٨٥ بألفاظ متقاربة

الشرح والبيان:

قال السندي: قوله (أن أريك) من الجاه والشرف لأية تخفف عنه هذه المحن وأنه لا يبالي صاحبه بإضعاف هذه المحن والشدائد. [١]

(جالس حزين، وقد تخضب بالدم)، أي: تلوث به يوم أحد عند كسر رباعيته (من فعل أهل مكة)، أي: من ضرب كفارهم، وقد قال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: ضرب وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله تعالى. ذكره السيوطي في حاشية البخاري، وذلك لقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"[٢] لكن حصل له هذا الكسر ليكثر له الأجر والجبر في

(١)شرح السندى على سنن ابن ماجه ٤٩١/٢.

(٢)المائدة آية ٦٧.

مشاركة مشقة المؤمنين، ومحنة المجاهدين، ولذا لما أصاب حجر أصبعه ودميت قال: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت.

(فقال) أي: جبريل (يا رسول الله! تحب أن نريك آية) ؟ أي: علامة منك على نبوتك تسلية لك على محنتك لتعرف أنها سبب لمزيد محنتك، وقرب منزلتك (قال: نعم، فنظر) أي جبريل (إلى شجرة من ورائه)، أي: من خلفه، أو من خلف النبي – عليهما الصلاة والسلام – (فقال)، أي: جبريل (ادع بها)، أي اطلبها (فدعا بها، فجاءت، فقامت بين يديه)، أي: منادية لديه ومنقادة إليه (فقال)، أي: جبريل (مرها)، أي: بالرجوع (فلترجع) أي: لحكمة تقتضيه (فأمرها، فرجعت. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: حسبي)، أي: كفاني (حسبي) زيد للمبالغة، أو إشارة إلى تكرار خرق العادة بالمجيء والإعادة، والمعنى كفاني في تسليتي عما لقيته من الحزن هذه الكرامة من ربي. [١]

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكات المصابيح ٩ /٣٨٢١ .

المبحث الثالث: ما أخبر به النبي ﷺ وليس بمعجزة:

استغفار الحيتان لطالب العلم:

عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسا مع أبي الدرداءﷺ في مسجد دمشق فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء: إني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني، أنك تحدثه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة، قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"

التخريج:

- أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٤٨٥/٥ ح ٣٦٤١، و إسناده حسن ٠
- وأخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥ ح ٢٦٨٢ قال الترمذى: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن الوليد بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم «وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح»٠
- وأخرجه ابن ماجه أبواب السنة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١٥١/١ ح ٢٢٤بألفاظ متقاربة ٠

– وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب في فضل العلم والعالم ٣٦١/١ ح ٣٥٤ بألفاظ متقاربة ٠

– وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٥/٣٦ح ٢١٧١٥ بألفاظ متقاربة ٠

شواهد الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر ".

– أخرجه الدارمي في سننه المقدمة باب في فضل العلم والعالم ٣٦٣/١ ح ٣٥٥ بإسناد حسن موقوف على ابن عباس.

– وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الآداب باب ما جاء في طلب العلم وتعلمه ٢٨٤/٥ ح ٢٦١١٣.

الشرح والبيان:

قال السندى: قوله (في مسجد دِمَشق) – بكسر الدال وفتح الميم– قوله: (فما جاء بك تجارة) بتقدير حرف الاستفهام ولا جاء بك غيره أي غير ذلك الحديث من الأمور. قوله: (فإني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.. إلخ) يحتمل أن هذا الحديث هو الحديث المطلوب للرجل أو غيره ذكره تبشيرا له وترغيبا في مثل ما فعل. (١)

قال القارى:(من سلك) أي دخل أو مشى (طريقا) أي قريبا أو بعيدا (يبتغي فيه) أي في ذلك الطريق أو في ذلك المسلك أو في سلوكه (علما) قال الطيبي وإنما أطلق الطريق والعلم ليشملا في جنسهما أي طريق كان من مفارقة الأوطان

(١)حاشية السندى على سنن ابن ماجه ٩٨/١ ٠

والضرب في البلدان إلى غير ذلك وأي علم كان من علوم الدين قليلا أو كثيرا رفعيا أو غير رفيع (سلك الله به) الضمير عائد إلى (من) والباء للتعدية،أي جعله سالكا ووفقه أن يسلك طريق الجنة وقيل: عائد إلى العلم والباء للسببية، وسلك بمعنى سهل والعائد إلى (من) محذوف والمعنى سهل الله له بسبب العلم (طريقا إلى الجنة) فعلى الأول سلك من السلوك، وعلى الثاني من السلك والمفعول محذوف، كقوله تعالى:" يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا" (١)

قيل عذابا مفعول ثان.

وعلى التقدير نسبة سلك إلى الله تعالى على طريق المشاكلة كذا قال الطيبي (لتضع أجنحتها) جمع جناح (رضاً) حال أو مفعول له على معنى إرادة رضا ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل به (لطالب العلم) اللام متعلق برضا وقيل: التقدير لأجل الرضا الواصل منها إليه أو لأجل إرضائها لطالب العلم بما يصنع من حيازة الوراثة العظمى وسلوك السنن الأسنى.

قال زين العرب وغيره: قيل معناه أنها تتواضع لطالبه توقيرا لعلمه كقوله تعالى:"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة" أي تواضع لهما أو المراد الكف عن الطيران والنزول للذكر كقوله في حديث أبي هريرة وحفت بهم الملائكة ومعناه المعونة وتيسير المؤونة بالسعي في طلبه، أو المراد تليين الجانب والانقياد والفيء عليه بالرحمة والانعطاف،أو المراد حقيقته وإن لم تشاهد وهي فرش الجناح وبسطها لطالب العلم لتحمله عليها وتبلغه مقعده من البلاد.

(١) الجن آية ١٧.

ونقل ابن القيم عن أحمد بن شعيب قال: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بهذا الحديث وفي المجلس شخص من المعتزلة فجعل يستهزىء بالحديث فقال والله لأطرقن غدا نعلي وأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فحفت رجلاه ووقعت فيهما الأكلة٠

وقال الطبراني: سمعت بن يحيى الساجي يقول كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزىء بالحديث فما زال عن موضعه حتى حفت رجلاه وسقط إلى الأرض [١]٠

قوله:(وإن العالم ليستغفر له) قال الطيبي: هو مجاز من إرادة استقامة حال المستغفر له ٠ قال القارىء: والحقيقة أولى ٠

(حتى الحيتان) . جمع الحوت . خص لدفع إيهام أن من في الأرض لا يشمل من في البحر كذا قيل [٢]٠

قال الخطابي:إن الله سبحانه قد قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء أنواعا من المنافع والمصالح والأرزاق فهم الذين بينوا الحكم فيما يحل ويحرم منها وأرشدوا إلى المصلحة في بابها وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها فألهمها الله الاستغفار للعلماء مجازاة على حسن صنيعهم بها وشفقتهم عليها (والحيتان) جمع الحوت [٣].

قلت: وهذا موضع الشاهد فى الحديث حيث تنطق الحيتان بالاستغفار للعلماء٠

قوله:(وفضل العالم على العابد كفضل القمر) فإن كمال العلم كمال يتعدى آثاره إلى الغير وكمال العبادة كمال غير متعد آثاره فشابه الأول بنور القمر والثاني

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢٩٦/١.

(٢)تحفة الأحوذى ٣٧٥/٧-٣٧٧٠ ٠

(٣)عون المعبود ١٠ /٥٣ ٠

بنور سائر الكواكب وفيه تنبيه على أن كمال العلم ليس للعالم من ذاته بل تلقاه عن النبي ﷺ كنور القمر فإنه مستفاد من نور الشمس ثم المراد بالعالم: من غلب عليه الاشتغال بالعلم مع اشتغاله بالأعمال الضرورية وبالعابد: من غلب عليه العبادة مع اطلاعه على العلم الضروري وأما غيرهما فبمعزل عن الفضل[١].

(إن العلماء ورثة الأنبياء) وإنما لم يقل ورثة الرسل ليشمل الكل

قوله: (لم يورِّثوا) بالتشديد من التوريث (دينارا ولا درهما) أي شيئا من الدنيا وخصا لأنهما أغلب أنواعها وذلك إشارة إلى زوال الدنيا وأنهم لم يأخذوا منها إلا بقدر ضرورتهم فلم يورثوا شيئا منها لئلا يتوهم أنهم كانوا يطلبون شيئا منها يورث عنهم (فمن أخذ به) أي بالعلم (فقد أخذ بحظ وافر) أي أخذ حظا وافرا يعني نصيبا تاما أي لا حظ أوفر منه. والباء زائدة للتأكيد، أو المراد أخذه متلبسا بحظ وافر من ميراث النبوة ويجوز أن يكون أخذ بمعنى الأمر أي فمن أراد أخذه فليأخذ بحظ وافر ولا يقتنع بقليل .[٢]

(١)حاشية السندى على سنن ابن ماجه١/٩٨ .

(٢) تحفة الأحوذى ٧/٣٧٥- ٠٣٧٧

نطق الذئب والبقر:

عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السَبُع، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث " قال الناس: سبحان الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما».

التخريج:

- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً..)٥/٥ح ٣٦٦٣واللفظ له
- وأخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار ١٧٤/٤ ح ٣٤٧١ ٠
- وأخرجه في كتاب أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ١٢/٥ ح ٣٦٩٠ ولم يذكر قصة البقرة.
- وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ١٨٥٧/٤ح٢٣٨٨(١٣) بألفاظ متقاربة بتقديم وتأخير.
- وأخرجه الترمذي في أبواب المناقب تابع باب مناقب أبي بكر ﷺ ٦١٥/٥ ح ٣٦٧٦ ولم يذكر قصة الذئب.
- وأخرجه في باب تابع فضائل أبي حفص عمر ﷺ ٦٢٣/٥ ح ٣٦٩٠ ولم يذكر قصة البقرة وقال: " هذا حديث حسن صحيح "
- وأخرجه النسائي (في الكبرى) كتاب المناقب باب فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٧/ ٢٩٦ ح ٨٠٥٧ ٠بألفاظ متقاربة
- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٥/١٢ح٧٣٥١ بألفاظ متقاربة ٠

الشرح والبيان:

قوله:(بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب)٠٠الحديث ٠

قال ابن حجر: لم أقف على اسم هذا الراعي وقد أورد المصنف الحديث في ذكر بني إسرائيل وهو مشعر بأنه عنده ممن كان قبل الإسلام، وقد وقع كلام الذئب لبعض الصحابة في نحو هذه القصة فروى أبو نعيم في الدلائل من طريق ربيعة بن أوس عن أنيس بن عمرو عن أهبان بن أوسﷺ قال: كنت في غنم لي فشد الذئب على شاة منها فصحت عليه فأقعى الذئب على ذنبه يخاطبني، وقال: من لها يوم تشتغل عنها تمنعني رزقا رزقنيه الله تعالى، فصفقت بيدي وقلت: والله ما رأيت شيئا أعجب من هذا فقال: أعجب من هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هذه النخلات يدعو إلى الله قال فأتى أهبان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم. (١)

فيحتمل أن يكون أهبان لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان أبو بكر وعمر حاضرين ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأبو بكر وعمر غائبين فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر.

ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما وهذا أليق بدخوله في مناقبهما.

قوله:(يوم السبُع) قال عياض: يجوز ضم الموحدة وسكونها إلا أن الرواية بالضم. وقال الحربي: هو بالضم والسكون وجزم بأن المراد به الحيوان المعروف٠ وقال ابن العربي: هو بالإسكان والضم تصحيف.

(١) أخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة) الفصل الثامن عشر فى ذكر الأخبار من شكوى البهائم والسباع ٣٧٤/١ عن أبى هريرة بألفاظ مختلفة ٠

وقال ابن الجوزي: هو بالسكون والمحدثون يروونه بالضم وعلى هذا أي الضم فالمعنى: إذا أخذها السبع لم يقدر على خلاصها منه فلا يرعاها حينئذ غيري، أي إنك تهرب منه وأكون أنا قريبا منه أرعى ما يفضل لي منها.

وقال الداودي: معناه من لها يوم يطرقها السبع أي الأسد فتفر أنت منه فيأخذ منها حاجته وأتخلف أنا لا راعي لها حينئذ غيري وقيل إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن فتصير الغنم هملا فتنهبها السباع فيصير الذئب كالراعي لها لانفراده بها.

وأما بالسكون: فاختلف في المراد به فقيل: هو اسم الموضع الذي يقع فيه الحشر يوم القيامة وهذا نقله الأزهري في تهذيب اللغة عن ابن الأعرابي.

وقيل هو اسم يوم عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه باللهو واللعب فيغفل الراعي عن غنمه فيتمكن الذئب من الغنم وإنما قال ليس لها راع غيري مبالغة في تمكنه منها.

وهذا نقله الإسماعيلي عن أبي عبيدة، وقيل: هو من سبعت الرجل إذا ذعرته أي من لها يوم الفزع أو من أسبعته إذا أهملته أي من لها يوم الإهمال.

قال الأصمعي: السبع الهمل وأسبع الرجل أغنامه إذا تركها تصنع ما تشاء ورجح هذا القول النووي.

وقيل: يوم الأكل يقال سبع الذئب الشاة إذا أكلها، وحكى صاحب المطالع أنه روي بسكون التحتانية آخر الحروف وفسره بيوم الضياع، يقال: اسبعت وأضيعت بمعنى وهذا نقله ابن دحية عن إسماعيل القاضي عن علي بن المديني عن معمر بن المثنى.

وقيل: المراد بيوم السبع يوم الشدة كما روي عن ابن عباس أنه سئل عن مسألة فقال:(أجرأ من سبُع) يريد أنها من المسائل الشداد التي يشتد فيها الخطب على المفتي والله أعلم.

قولـه:(وبينمـا رجـل يـسوق بقـرة) وقـع عنـد ابـن حبـان مـن طريـق محمـد بـن عمـرو عـن أبـي سـلمة عـن أبـي هريـرة فـي آخـره فـي القـصتين فقـال النـاس آمنـا بمـا آمـن بـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وفـي الحـديث جـواز التعجب من خوارق العادات وتفاوت الناس في المعارف .[1]

أحد جبل يحبنا ونحبه:

عن عباس بن سهل بن سعد عن أبي حميدﷺ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: " هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه "

– أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر ٨/٦ ح ٤٤٢٢ واللفظ له .

– وأخرجه في كتاب الزكاة باب خرص الثمر ١٢٥/٢ ح ١٤٨١ جزء من حديث طويل .

– وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج باب أحد جبل يحبنا ونحبه ١٠١١/٢ ح١٣٩٢ (٥٠٣) عن عباس بن سهل الساعدي عن أبي حميد جزء من حديث.

– وأخرجه ابن ماجه كتاب المناسك باب فضل المدينة ١٠٤/٢ ح ٢١١٥ عن أنس بن مالك بلفظ " إنّ أحداً جبل يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة وعير على ترعة من ترع النار "

(١) فتح البارى لابن حجر ٢٨/٧ . شرح النووى ١٥٧/١٥ .

قال البوصيري في الزوائد: في إسناده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه وشيخه عبد الله،قال البخاري في حديثه نظر، وقال ابن حبان لا أعلم له سماعاً من أنس. ويدفعه ما في ابن ماجه من التصريح بالسماع.

– وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما جاء في تحريم المدينة ٨٨٩/٢ ح ١٠ عن أنس بن مالك بلفظ " هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم ما بين لابتيها ".

– وأخرجه أحمد في مسنده ٤٩١/١٩ ح ١٢٥١٠ عن أنس بن مالك بلفظ الموطأ.

الشرح والبيان:

قوله:(هذا) مشيرًا إلى أُحُد (جبل يحبنا ونحبه) إذ جزاء من يحب أن يحب.

وفي المسند عن أبي عثمان بن جبير عن رسول الله ﷺ قال: "أُحُد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة وعَيْر يبغضنا ونبغضه وإنه على باب من أبواب النار»[1]

وقوله: "المرء مع من أحب" فيناسب هذه الآثار ويشدّ بعضها بعضًا، وقد كان النبي ﷺ يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية، وقد سمى الله تعالى هذا الجبل بهذا الاسم مقدمة لما أراده الله تعالى من مشاكلة اسمه لمعناه إذ أهله وهم الأنصار نصروا رسول الله ﷺ والتوحيد والمبعوث بدين التوحيد استقر عنده حيًّا وميتًا، وكان من عادته ﷺ أن يستعمل الوتر ويحبه في شأنه كله استشعارًا للأحدية فقد وافق اسم هذا الجبل أغراضه ﷺ ومقاصده في الأسماء فتعلق الحب من النبي ﷺ به اسمًا ومسمى، فخص من بين الجبال بأن

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٣١٥/٦ ح٦٥٠٥ عن أبى عبس بن جبر ٠

يكون معه في الجنة " وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا " [١] قال: وفي أُحُد قبر هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وكانا قد مرّا بأُحُد حاجين أو معتمرين. روي هذا المعنى في حديث أسنده الزبير عن النبي ﷺ في كتاب فضائل المدينة انتهى.[٢]

ذكر الدواب:

عن سهل بن معاذ عن أبيهرضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه مر على قوم وهم وقوف على دوابَّ لهم ورواحِل فقال لهم: " اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فربّ مركُوبَة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله . تبارك وتعالى . منه "

التخريج:

-أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢٤ ص ٣٩٢ ح ١٥٦٢٩ من طريق ابن لهيعة عن زبّان عن سهل بن معاذ عن أبيه.واللفظ له.

- وأخرجه في ٤٠٠/٢٤ ح ١٥٦٤١ من طريق الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن معاذ عن أبيه.بلفظ مقارب.

- وأخرجه الطبراني في الكبير ١٩٣/٢٠ ح ٤٣٢ من طريق رشدين عن زبّان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه بألفاظ متقاربة

- وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٧ / ٨ وقال: رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد أحمد[٣] رجاله رجال الصحيح غير سهل بن معاذ بن أنس وثقه ابن حبان، وفيه ضعف.

---

(١)الواقعة: آية٥، ٦ .

(٢) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى ٦ /٣١١٠ .

(٣) يقصد الهيثمى: طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن معاذ عن أبيه .

الشرح و البيان:

فاركبوها صالحة): أي قوية للركوب (واتركوها): أي: عن الركوب قبل الإعياء. (١)

(ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق) أي لا تجلسوا على ظهورها لتتحدثوا مع أصحابكم وهي موقفة كجلوسكم على الكراسي للتحدث والمنهي عنه الوقوف الطويل لغير حاجة (فرب) دابة (مركوبة خير من راكبها) عند الله تعالى (وأكثر ذكراً لله منه) بيّن به أن الدواب منها ما هو صالح وغيره وأن لها إدراكا وتمييزا وأنها تسبح وإن من شيء إلا يسبح بحمده(٢)

وموضع الشاهد فى قوله: (وأكثر ذكراً لله تبارك وتعالى منه)

فهى تنطق بذكر الله تعالى بلسان حالها أو مقالها.

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/٢٢٠٥ ٠

(٢)التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٤٢ ٠

تسبيح الضفدع:

عن عبد الله بن عمروﷺ قال: " لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها الذي تسمعون تسبيح "

التخريج:

-أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الطب باب في الضفدع يتداوى بلحمه ٦٢/٥ ح ٢٣٧١ بلفظه ٠من طريق شعبة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي الحكم البجلي[١]، عن عبد الله بن عمرو ٠ وإسناده صحيح ٠

-وأخرجه الطبراني في الأوسط ١٠٤/٤ ح ٣٤١٦بلفظ " نهى النبي ﷺ عن قتل الضفدع وقال: " إن نقيقها تسبيح " وقال: لم يرفع هذا الحديث عن شعبة إلا حجاج تفرد به المسيب بن واضح ٠

-وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى كتاب جماع أبواب (ما يحل وما يحرم من الحيوانات) باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب ٥٣٤/٩ ح ١٩٣٨٢

- وأخرجه فى (معرفة السنن والآثار) كتاب الضحايا باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب ٨٥/١٤ ح ١٩٢١١ ٠

بلفظ:(لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح، ولا تقتلوا الخفاش فإنه لما خَرِبَ بيت المقدس قال يا رب سلطني على البحر حتى أغرقهم)

قال البيهقي: فهذان موقوفان في الخفاش وإسنادهما صحيح.

فالذي أمر بقتله في الحل والحرم يحرم أكله، إذ لو كانت حلالاً لما أمر بقتله في الحرم ولا في الإحرام، وقد نهى الله عن قتل الصيد في الإحرام، والذي نهى عن

(١) وأبى الحكم البجلى هو: عبد الرحمن ابن أبى نعم من رجال صحيح البخارى (رجال صحيح البخارى ١ /٤٦١) ٠

قتله يحرم أكله إذ لو كان حلالاً أمر بذبحه، ولما نهى عنه ولما نهى عن قتله كما لم ينه عن قتل ما يحل ذبحه وأكله. والله أعلم. (١)

الشرح والبيان:

الضفدع فى اللغة: واحد الضفادع، والأنثى ضفدعة. وحكى بضم الضاد وكسرها مع فتح الدال وضمها.

وهو حيوان برمائى ذو نقيق، يقال للذكر والأنثى.

ويقال: «نقّت ضفادع بطنه»: إذا جاع.

وذَكَر الضفادع يقال له: العلجوم.

وفى الأمثال: «أنقّ من ضفدع» (٢)

و نقَّ الضِّفْدِعُ ينِقُّ نَقيقاً: صاحَ. وَفِي الصِّحاح: صوّت.

والنقاقة: الضفدعة، والنقاق: الضفدع، صفة غالبة، تقول العرب: أروى من النقاق. (٣)

والشاهد من الحديث أن الضفدع تنطق بالتسبيح بلسان المقال.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ٥٣٤/٩ .

(٢) موسوعة الطير والحيوان فى الحديث النبوى ٢٥٨.

(٣) تاج العروس ٤٣٧/٢٦ .

المبحث الرابع: شهادة الجمادات لأصحاب الطاعات:

شهادة الجمادات للمؤذن:

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري ثم المازني، عن أبيه، أنه أخبره أن أبا سعيد الخدريﷺ قال له: إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك، أو باديتك، فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه: "لا يسمع مدى صوت المؤذن، جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة" قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم٠

التخريج:

– أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب رفع الصوت بالنداء ١٢٥/١ ح ٦٠٩ ٠واللفظ له

–وأخرجه في كتاب بدأ الوحي باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ١٢٧/٤ ح ٣٥٩٦ ٠

–وأخرجه في كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ الماهر بالقران مع الكرام البررة ١٥٩/٩ ح ٧٥٤٨ ٠

– وأخرجه النسائي في سننه كتاب الآذان باب رفع الصوت بالآذان ٦٤٤/١٢/٢ ٠بلفظه

– وأخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة باب ما جاء في النداء ٩٣/٢ ح ٢٢٢ بلفظ مقارب٠

– وأخرجه الإمام أحمد ١٧ /٤٠٦ ح ١١٣٠٥ بلفظه٠

شواهد الحديث:

وعند الإمام أحمد ٣٣٨/١٠ ح ٦٢٠٢ بلفظ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " يغفر الله للمؤذن منتهى أذآنه ويستغفر له كل رطب ويابس سمع صوته.

الشرح والبيان:

قولـه: " لا يـسمع مـدى صـوت المـؤذن " المـدى: الغايـة حيـث ينتهـي الصوت.

وقولـه: " كـل رطـب ويـابس " يـدل علـى أن الجمـادات سـواء كانـت رطبـة أو يابسة فإن لها سماعاً في الدنيا وشهادة في الآخرة.

فدل ذلك على صحة أشياء مختلف في بعضها ٠

وقـد أثبـت ذلـك جمهـور الـسلف سـواء كانـت رطبـة أو يابـسة كمـا دل عليـه قوله:"يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ" (١)

وقوله تعالى:"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (٢)

وخـص الحـسن التـسبيح بمـا كـان رطبـاً قبـل أن ييـبس والجمهـور علـى خلافه.

والعمـل علـى هـذا عنـد أهـل العلـم، يـستحبون رفـع الـصوت بـالأذان مـا أمكنـه مـا لـم يجهـده، ليكثـر شـهداءه.ويـستحب أن يـؤذن علـى مكـان مرتفـع، ليكـون أبعـد لـذهاب صـوته، فـإن بـلالا كـان يـؤذن علـى بيـت امـرأة مـن بنـي النجار بيتها أطول بيت حول المسجد.

وفيه دليل على أن المستحب للمنفرد إذا أراد أداء فرض الوقت أن يؤذن ويقيم. (٣)

---

(١)سبأ آية ١٠.

(٢)الإسراء آية ٤٤.

(٣) شرح السنة للبغوى٢/٢٧٢.

قال ابن حجر: السر في هذه الشهادة مع أنها تقع عند عالم الغيب والشهادة أن أحكام الآخرة جرت على نعت أحكام الخلق في الدنيا من توجيه الدعوى والجواب والشهادة قاله الزين ابن المنير، وقال التوربشتي: المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة وكما أن الله يفضح بالشهادة قوما فكذلك يكرم بالشهادة آخرين.

وقال: وفي الحديث استحباب رفع الصوت بالأذان ليكثر من يشهد له ما لم يجهده أو يتأذى به، وفيه أن حب الغنم والبادية ولا سيما عند نزول الفتنة من عمل السلف الصالح، وفيه جواز التبدي ومساكنة الأعراب ومشاركتهم في الأسباب بشرط حظ من العلم وأمن غلبة الجفاء، وفيه: أن أذان الفذ مندوب إليه ولو كان في قفر ولو لم يرتج حضور من يصلي معه لأنه إن فاته دعاء المصلين فلم يفته استشهاد من سمعه من غيرهم. (١)

شهادة الحجر والشجر والمدر للملبي:

عن أبي حازم عن سهل بن سعدﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وها هنا "

التخريج:

- أخرجه الترمذي أبواب الحج باب ما جاء في فضل التلبية والنحر ١٨٠/٣ ح٨٢٨ بإسناد صحيح واللفظ له.
- وأخرجه ابن ماجه أبواب المناسك باب رفع الصوت بالتلبية ١٥٩/٤ ح ٢٩٢١ .بألفاظ متقاربة .

(١)فتح البارى ٨٩/٢.

– وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إبراهيم النبي ﷺ ٦٠١/٢ ح ٤٠٢٦ وزاد فيه أو أَكَمه أو تُرَاب وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

شواهد الحديث:

عن يزيد بن مرثد قال: قال أبو الدرداءﷺ: " اذكروا الله عند كل حجيرة وشجيرة لعلها تأتي يوم القيامة تشهد لكم ".

– أخرجه الطبرانى فى (مسند الشاميين) ٣٨٨/١ ٠واللفظ له

– وأخرجه أبو الشيخ في كتاب (العظمة) في ذكر تسبيح الخلائق الجبال والشجر والدواب والطيور والسباع وقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" ١٧١٣/٥ .

الشرح والبيان:

قوله (إلا لبى من عن يمينه) كلمة (مَنْ) بالفتح موصولة (من حجر أو شجر أو مدر) من بيان (مَنْ)

قال الطيبي: لما نسب التلبية إلى هذه الأشياء عبر عنها بما يعبر عن أولي العقل ٠

والمَدَر: هو الطين المستحجر (حتى ينقضي الأرض) أي تنتهي (من ها هنا وههنا) إشارة إلى المشرق والمغرب والغاية محذوفة أي إلى منتهى الأرض[1].

قوله: (إلا لبى ما عن يمينه... إلخ) إن قلت: أي فائدة للمسلم في تلبية الأحجار وغيرها مع تلبيته؟ قلت: اتباعهم في هذا الذكر دليل على فضيلته وشرفه ومكانته عند الله إذ ليس اتباعهم في هذا الذكر إلا لذلك، على أنه يجوز أن يكتب له

(١)تحفة الأحوزى ٤٧٦/٣.

أجر هذه الأشياء لما أن هذه الأشياء صدر عنها الذكر تبعا فصار المؤمن بالذكر كأنه دال على الخير والله أعلم. (١)

شهادة الحجر الأسود:

عن ابن عباسﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر " والله ليَبعثنَّهُ الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق " ٠

التخريج:

- أخرجه الترمذي في سننه أبواب الحج باب ما جاء في الحجر الأسود ٣/٢٨٥ ح ٩٦١ وقال: هذا حديث حسن.
- وأخرجه ابن ماجه كتاب المناسك باب استلام الحجر ٢/٩٨٢ ح ٢٩٤٤ بألفاظ متقاربة
- وأخرجه الدارمي كتاب المناسك باب الفضل في استلام الحجر ٢/١١٦٠ ح ١٨٨١ بألفاظ متقاربة ٠
- وأخرجه أحمد ٤/ ٣٩٢ ح ٢٦٤٣ بلفظ" ليبعثن الله الحجر يوم القيامة "٠
- الحاكم في المستدرك كتاب المناسك ١/٦٢٧ ح ١٦٨٠وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٠
- وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب المناسك باب ذكر الدليل على أن الحجر إنما يشهد لمن استلمه بالنية ٢/١٢٩٤ ح ٢٧٣٦ بلفظ " ليبعثن الله هذا الركن يوم القيامة "
- وأخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الحج باب فضل مكة ٩/٢٥ ح ٣٧١٢ بلفظ " ليبعثن الله هذا الركن " ٠

(١) حاشية السندى على سنن بن ماجه٢/٢١٦ ٠

-وأخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) ١١٩/٣ ح ٦٦٥، بلفظ " الركن والمقام يأتيان يوم القيامة لهما لسان وشفتان أعظم من أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء " قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا الحارث بن غسان.

الشرح والبيان:

قوله: (على من يستلمه بحق) أي: ملتبسا بحق وهو دين الإسلام واستلامه بحق هو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺلا تعظيم الحجر نفسه والشهادة عليه هي الشهادة على أدائه حق الله المتعلق به وليست على الضرر. (١)

قوله:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحَجَر) أي في شأن الحجر الأسود ووصفه (ليبعثنه الله) أي ليظهرنه (له عينان يبصر بهما) فيعرف من استلمه (يشهد على من استلمه بحق) قال العراقي:على هذا بمعنى اللام وفي رواية أحمد والدارمي وابن حبان (يشهد لمن استلمه)، قال: و(الباء) في (بحق) يحتمل تعلقها بيشهد أو باستلمه. (٢)

قال المباركفورى: وقال الشيخ في اللمعات: كلمة (على) باعتبار تضمين معنى الرقيب والحفيظ وقوله: بحق متعلق باستلمه أي استلمه إيمانا واحتسابا، ويجوز أن يتعلق بيشهد والحديث محمول على ظاهره فإن الله تعالى قادر على إيجاد البصر والنطق في الجمادات فإن الأجسام متشابهة في الحقيقة يقبل كل منها ما يقبل الآخر من الأعراض.

---

(١) حاشية السندى على سنن ابن ماجه ٢٢٢/٢.

(٢) قوت المغتذى على جامع الترمذى٣٠٣/١.

ويأوله الذين في قلوبهم زيغ التفلسف ويقولون: إن ذلك كناية عن تحقيق ثواب المستلم وإن سعيه لا يضيع والعجب من البيضاوي أنه قال: إن الأغلب على الظن أن المراد هذا وإن لم يمتنع حمله على الظاهر ولا عجب فإنه مجبول على التفلسف في تفسير القرآن وشرح الأحاديث . تجاوز الله عنه . انتهى كلام الشيخ. (١)

(١)تحفة الأحوزى ٤/٣١.

المبحث الخامس: ما يتعلق بأشراط الساعة:

حديث الجساسة

عن عامر بن شراحيل الشعبي أنه سأل فاطمة بنت قيس . رضى الله عنها. أخت الضحاك بن قيسﷺ – وكانت من المهاجرات الأُول – فقال: حدثيني حديثا سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني فقالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وخطبني رسول اللهﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حُدِّثت، أن رسول اللهﷺ قال: «من أحبني فليحب أسامة» فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت: أمري بيدك، فأنكحني من شئت، فقال: «انتقلي إلى أم شريك» وأم شريك امرأة غنية، من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان، فقلت: سأفعل، فقال: «لا تفعلي، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم – وهو رجل من بني فهر، فهر قريش وهو من البطن الذي هي منه – فانتقلت إليه، فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب

الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أَهْلَب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعا، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلْقا، وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة

– أو واحداً – منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ، وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» – يعني المدينة – «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم، «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشأم، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق، ما هو» وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ ٠

التخريج:

– أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة ٢٢٦٢/٤ ح ٢٩٤٢ (١١٩) واللفظ له ٠

– وأخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب في خبر الجساسة ١١٨/٤ ح ٤٣٢٦ ٠ مختصراً

– وأخرجه الترمذي في أبواب الفتن باب تابع ما جاء في النهي عن سب الرياح ٥٢١/٤ ح ٢٢٥٣ قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبي وقد رواه غير واحد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس.

– وأخرجه النسائي في (السنن الكبرى) كتاب المناسك باب في دور مكة ٢٥٠/٤ ح ٤٢٤٤ بألفاظ متقاربة٠

– وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ٢/ ١٢٥٤ ح٤٠٧٤ ٠

– وأخرجه الإمام أحمد ٥٧/٤٥ ح ٢٧١٠١ بألفاظ متقاربة٠

الشرح والبيان:

قوله:(جلس على المنبر) فيه دلالة على جواز وعظ الواعظ الناس جالسا على المنبر، وأما الخطبة يوم الجمعة فلا بد للخطيب أن يخطبها قائما (وهو يضحك) أي يتبسم ضاحكا على عادته الشريفة (ليلزم) بفتح الزاي (كل إنسان مصلاه) أي موضع صلاته فلا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر (لرهبة) أي لخوف من عدو (ولا رغبة) أي ولا لأمر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة (أن تميما الداري) أي لأن كما في رواية مسلم وهو منسوب إلى جد له اسمه الدار (وافق الذي حدثتكم) أي طابق الحديث الذي حدثتكم ٠

قال النووي:هذا معدود في مناقب تميم لأن النبيﷺ روى عنه هذه القصة. وفيه: رواية الفاضل عن المفضول ورواية المتبوع عن تابعه،وفيه: قبول خبر الواحد (في سفينة بحرية) أي لا برية احترازا عن الإبل فإنها تسمى سفينة البر. وقيل: أي مركبا كبيرا بحريا لا زورقا صغيرا نهريا (من لَخْم) ـ بفتح لام وسكون خاء معجمة. مصروف وقد لا يصرف قبيلة معروفة وكذا قوله (وجُذام). بضم الجيم ـ (فلعب بهم الموج) أي دار بهم، واللعب في الأصل:ما لا فائدة فيه من فعل أو قول فاستعير لصد الأمواج السفن عن صوب المقصد وتحويلها يمينا وشمالا (وأرفئوا) أي قربوا السفينة،قال الأصمعي: أرفأت السفينة أرفئها إرفاء، وبعضهم يقول أرفيها . بالياء على الإبدال ـ وهذا مرفأ السفن أي الموضع الذي تشد إليه وتوقف عنده. (١)

قوله (فجلسوا في أَقرُب السفينة) هو. بضم الراء. وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم، الجمع قوارب،

(١) عون المعبود ٣١٧/١١-٣١٩.

والواحد قارب . بكسر الراء وفتحها. وجاء هنا أقرب وهو صحيح لكنه خلاف القياس. وقيل: المراد بأقرب السفينة أخرياتها وما قرب منها للنزول. (١)

قوله:(فدخلوا الجزيرة). اللام للعهد. أي في الجزيرة التي هناك

والجزيرة: المنقطعة عَن المَاء. وَقَالَ ابْن فَارس: والجزر: الْقطع، وَسميت الجزيرة لانقطاعها عَن مُعظم الأَرْض. (٢)

قوله:(دابة أهلب) والهلب: الشعر، وقيل: ما غلظ من الشعر وقيل: ما كثر من شعر الذنب وإنما ذكره لأن الدابة يطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى:" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" الآية(٣) كذا قالوا والأظهر أنه بتأويل الحيوان ٠

(كثيرة الشعر) صفة لما قبله وعطف بيان، زاد في رواية مسلم لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر (قالوا ويلك) هي كلمة تجري من غير قصد إلى معناه، وقد ترد للتعجب وللتفجع،قال القارىء خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفجع (٤)٠

وقوْلها: أنا الْجَسَّاسَة. هو أسم مأخوذ من التَّجَسُّس: وهو الفحص عن بواطن الأمور. ومعظم ما يذكر التَّجَسُّس في الشَّرّ. (٥)

قال النووي: هي ـ بفتح الجيم فتشديد المهملة الأولى . قيل: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال٠

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن ٠(٦)

---

(١)شرح النووى على صحيح مسلم ١٨ /٨١.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤٦٧/٤.

(٣)سورة هود آية (٦)٠

(٤) المعبود ٣١٧/١١-٣١٩.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤٦٧/٤.

(٦) تحفة الأحوزى ٤٣٧/٦.

=

(فـي هـذا الـدَيْر)- بفـتح الـدال وسـكون التحتيـة - أي ديـر النـصارى ففـي المغـرب صـومعة الراهـب والمـراد هنـا القـصر (فإنـه) أي الرجـل الـذي فـي الدير (إلـى خبـركم) متعلـق بقولـه: (بالأَشْـواق)- بفـتح الهمـزة . جمـع شـوق أي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للإلصاق.

قال التوربشتي- رحمه الله- أي شديد نزاع النفس إلى ما عندكم من الخبر حتى كأن الأشواق ملصقة به أو كأنه مهتم بها (لما سمعت) أي ذكرت ووضعت (فرِقنا). بكسر الراء. أي خفنا (منها) أي من الدابة (أن تكون شيطانة) أي كراهة أن تكون شيطانة.

وقـال الطيبـي- رحمـه الله -:أن تكـون شـيطانة،بدل مـن الـضمير المجـرور (سـراعا) أي حـال كوننـا مـسرعين (أعظـم إنـسان) أي أكبـره جثـة أو أهيبـه هيئـة (رأينـاه) صـفة إنـسان احتـراز عمـن لـم يـروه، ولمـا كـان هـذا الكـلام فـي معنـى مـا رأينـا مثلـه، صـح قولـه: (قَـطُّ) الـذي يخـتص بنفـي الماضـي وهو- بفـتح القـاف وتـشديد الطـاء المـضمومة. فـي أفـصح اللغـات (خلقـا) تمييـز أعظـم (وأشـده) أي أقـوى إنـسان (وَثاقـا) - بفـتح الـواو وبكـسرها- أي قيـداً مـن الـسلاسل والأغـلال (مجموعـةٌ)ـ بـالرفع ـ أي مـضمومة (فـذكر) أي الـراوي (الحـديث) بطولـه (وسـألهم) الـضمير المرفـوع لأعظـم إنـسان الـذي كـان فـي الـدير (عـن نخـل بَيْسان) - بفـتح موحـدة وسـكون تحتيـة - وهـي قرية بالشام ذكره الطيبي - رحمه الله- قريبة من الأردن .

زاد في رواية مسلم هل تثمر قلنا: نعم قال:أما إنها توشك أن لا تثمر (وعن عين زُغَر) - بزاي فغين معجمتين فراء- كزفر، بلدة بالشام قليلة النبات، قيل عدم

=

صرفه للتعريف والتأنيث لأنه في الأصل اسم امرأة ثم نقل، يعني ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فإنه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان٠

وقال النووي –رحمه الله –:هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام ٠

وزاد في رواية مسلم:هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها (قال إني أنا المسيح) زاد في رواية مسلم: الدجال، وسمي به لأن عينه الواحدة ممسوحة وفي تسميته وجوه أُخر٠

قوله: (وإنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قِبَل المشرق ما هو) في فتح الودود قيل: هذا شك أو ظن منه عليه السلام أو قصد الإبهام على السامع ثم نفى ذلك وأضرب عنه فقال لا بل من قبل المشرق ثم أكد ذلك بقوله: (ما هو) وما زائدة لا نافية والمراد إثبات أنه في جهة المشرق٠

قوله: (مرتين) ولفظ مسلم ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، وأومىء بيده (وأومأ) أي أشار ﷺ (قالت) أي فاطمة بنت قيس٠[1]والشاهد فى الحديث نطق الدابة و قولها: (أنا الجساسة ٠٠٠)٠

<u>إخبار الحجر والشجر عن اليهود:</u>

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغَرْقد، فإنه من شجر اليهود "٠

(١)عون المعبود ٣١٧/١١-٣١٩ بتصرف.

التخريج:

-أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٢٢٣٩/٤ ح ٢٩٢٢ واللفظ له٠

- وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٣/١٥ ح ٩٣٩٨ ٠بلفظه

- وأخرجه أبو عمرو الداني في (السنن الواردة في الفتن) باب ما جاء في قتال هذه الأمة من أهل الأديان المختلفة ونصرها عليهم ٤/ ٨٦٩ بلفظه٠

الشرح والبيان:

قوله: (الا الغرقد فإنه من شجر اليهود) والغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس وهناك يكون قتل الدجال واليهود. وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة [١].

قال العينى: وذكر ابن البيطار في (جامعه) أن الغرقد اسم عربي يسمي به بعض العرب النوع الأبيض الكبير من العوسج. قال أبو عمر: إن مضغه مر. وقال الأصمعي: الغرقد من شجر الحجاز. [٢]

والمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وكما وقع صريحا في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال ونزول عيسى وفيه: "وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عند باب لُد فيقتله

(١) شرح النووى ١٨ / ٤٥.

(٢) عمدة القارى ١٨٨/٨.

وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال يا عبد الله للمسلم هذا يهودي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم"[١].

وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى. وفيه: أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة وفي قوله: ﷺ(تقاتلكم اليهود) جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان ناسب أن يُخاطبوا بذلك الحديث. [٢]

كلام السباع وعذبة السوط وشِرَاك النعل:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده" ٠

التخريج:

-أخرجه الترمذى فى أبواب الفتن باب ما جاء فى كلام السباع٤/٤٧٦ ح ٢١٨١ ٠ قال الترمذى: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي٠

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم٢/١٣٥٩ مطولا عن أبى أمامة الباهلى. حسن٠وأخرجه بن منده في كتاب الإيمان ذكر وجوب الإيمان بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج ٢/٩٣٩ من حديث حذيفة قال ابن حجر:إسناده صحيح.

(٢) فتح البارى ٦/٦١٠.

-وأخرجه الامام أحمد ١٨ /٣١٥ ح ١١٧٩٢ جزء من حديث٠

-وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه كتاب الفتن باب ما ذكر فى فتنة الدجال٧/٥٠٢ ح ٣٧٥٥٥ ٠بلفظه.

-وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الحكم والملاحم ٤/٥١٤ ح ٨٤٤٢ بألفاظ متقاربة وقال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى٠

الشرح والبيان:

السباع: جمع السبع وهو- بضم الباء وفتحها وسكونها -المفترس من الحيوان قوله (حتى تكلم السباع) أي سباع الوحش كالأسد أو سباع الطير كالبازي ولا منع من الجمع (الإنس) أي جنس الإنسان من المؤمن والكافر (وحتى يكلم الرجل) بالنصب على المفعولية (عذبة سوطه) بالرفع على الفاعلية والعَذَبة – بفتح العين المهملة والذال المعجمة – أي طرفه على ما في القاموس وغيره وقال في المجمع هو قَدُّ في طرف السوط (وشِراك نعله) – بكسر الشين المعجمة – أحد سيور النعل تكون على وجهها٠[1]

(١) تحفة الأحوزى ٦/٣٤٠.

المبحث السادس: هل كلام هذه الأشياء على الحقيقة أم المجاز ؟

قال النووي خلال شرحه لحديث " إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىّ"[١]: في الحديث معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة:" وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ "[٢] وقوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " [٣]وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه.

وسوف نتعرض بشىء من التفصيل لتوضيح الخلاف فى تفسير الآية ٠وقبل عرض الآراء أجلى بعض المعانى المتعلقة بالآية.

قال تعالى:"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا"

والتسبيح: هو بمعنى الخضوع الكامل للَّه تعالى، لَا يخرج شيء مما في الوجود أو أحد عن طاعته سبحانه، ويصح أن يراد بهذا الخضوع مع ذكر اللَّه تعالى بالتنزيه عن الشريك وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد٠[٤]

والتسبيح: مأخوذ من السَبْح، وهو المرّ السريع في الماء أو في الهواء، فالمُسَبِح مسرع في تنزيه الله وتبرئته من السوء، ومن كل ما لا يليق به- سبحانه-.

أى تنزه الله- تعالى- وتمجده السموات السبع، والأرض، ومن فيهن من الإنس والجن والملائكة وغير ذلك، وما من شيء من مخلوقاته التي لا تحصى إلا ويسبح بحمد خالقه- تعالى-، ولكن أنتم يا بنى آدم «لا تفقهون تسبيحهم» لأن تسبيحهم بخلاف لغتكم، وفوق مستوى فهمكم، وإنما الذي يعلم تسبيحهم هو

(١)سبق تخريجه ص٢٧.

(٢) سورة البقرة آية ٧٤.

(٣)سورة الإسراء أية ٤٤.

(٤) زهرة التفاسير ٨/٤٣٩٠.

خالقهم عز وجل، وصدق- سبحانه- إذ يقول: أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (١)

قال البغوى رحمه الله: واعلم أن الله تعالى أودع عِلْمًا فِي الْجَمَادَاتِ لَا يَقِفُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُوكَلَ عِلْمُهُ إِلَيْهِ." وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" أَيْ لَا تَعْلَمُونَ تَسْبِيحَ مَا عَدَا مَنْ يُسَبِّحُ بِلُغَاتِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ، إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً. (٢)

وأما عدم فقهنا للتسبيح الصادر من الجمادات فكأنه – والله أعلم- من عدم العمل بمقتضى ذلك، فان الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره، وعمر خاطره بهذا الفهم، لكان ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام والأفعال، والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا هذا، لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذي يحركه في سخط الله تعالى عليه، مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وإرهاب جبروته، وتيقظ لذلك حق التيقظ، لكاد أن لا يتكلم بقية عمره، فالظاهر والله أعلم أن الآية إنما وردت خطابا على الغالب في أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين، والله أعلم.

والمتدبر في هذه الآية الكريمة، يراها تبعث في النفوس الخشية والرهبة من الخالق- عز وجل-، لأنها تصرح تصريحا بليغا بأن كل جماد، وكل حيوان، وكل طير، وكل حشرة. بل كل كائن في هذا الوجود يسبح بحمده- تعالى-.

(١)التفسير الوسيط ٨ /٣٥٩.

(٢) تفسير البغوى ١٣٦/٣.

وهذا التصريح يحمل كل إنسان عاقل على طاعة الله، وإخلاص العبادة له، ومداومة ذكره، حتى لا يكون- وهو الذي كرمه ربه وفضله- أقل من غيره طاعة لله- تعالى-.

وقوله: "إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً" تذييل قصد به بيان فضل الله- تعالى- ورحمته بعباده مع تقصيرهم في تسبيحه وذكره.

أى: إِنَّهُ كانَ حَلِيماً لا يعاجل المقصر بالعقوبة، بل يمهله لعله يرعوى وينزجر عن تقصيره ومعصيته، غَفُوراً لمن تاب وآمن وعمل صالحا واهتدى إلى صراطه المستقيم.

هذا، ومن العلماء من يرى أن تسبيح هذه الكائنات بلسان الحال.

قال بعض العلماء تسبيح هذه الكائنات لله- تعالى- هو دلالتها بإمكانها وحدوثها، وتغير شئونها، وبديع صنعها على وجود مبدعها، ووحدته وقدرته، وتنزهه عن لوازم الإمكان والحدوث، كما يدل الأثر على المؤثر.

فهي دلالة بلسان الحال، لا يفقهها إلا ذوو البصائر. أما الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح، لفرط جهلهم وانطماس بصيرتهم.

يقول الامام الرازى عند تفسيره للآية: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن الحي المكلف يسبح لله بوجهين: الأول: بالقول كقوله باللسان سبحان الله.

والثاني: بدلالة أحواله على توحيد الله تعالى وتقديسه وعزته، فأما الذي لا يكون مكلفا مثل البهائم، ومن لا يكون حيا مثل الجمادات فهي إنما تسبح لله تعالى بالطريق الثاني، لأن التسبيح بالطريق الأول لا يحصل إلا مع الفهم والعلم والإدراك والنطق وكل ذلك في الجماد محال، فلم يبق حصول التسبيح في حقه إلا بالطريق الثاني. (١)

(١) مفاتيح الغيب ٣٤٨/٢٠.

يقول القشيرى:الأحياء من أهل السماوات والأرض يسبّحون له تسبيح قَالَة ، وغير الأحياء يسبّح من حيث البرهان والدلالة. وما من جزء من الأعيان والآثار إلا وهو دليل على الربوبية، ولكنهم إذا استمعوا توحيداً للإله تعجبوا- لجهلهم وتعسّر إدراكهم- وأنكروا. (١)

وقال بعض أهلِ المعاني: تسبيح السماوات والأرض والجمادات وَسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بِلَطِيفِ تركيبها وعجيب هَيْئَتِهَا عَلَى خالقها، فيصيرُ ذلك بمنزلة التَّسْبِيحِ مِنها. (٢)

ومنهم من يرى أن تسبيحها بلسان المقال، أى أن التسبيح بمعناه الحقيقي، فالكل يسبح بحمد الله، ولكن بلغته الخاصة التي لا يفهمها الناس.

قال ابن حجر فى تعليقه على حديث (حنين الجذع): في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تعالى:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " على ظاهره (٣).

وذهب البعض الآخر إلى تقييد التسبيح بحياة المسبح ٠

قال الكلبى:: كل شيء ينبت، يسبح من الشجر وغير ذلك، فإذا قطع منه صار ما قطع منه ميتاً لا يسبح.

وروي عن الحسن أنه قيل له: أيسبح هذا الخوان؟ قال: كان يسبح في شجره، فأَمَّا الآن فلا. ويقال: إذا قطع الشجر، فإنه يسبح ما دام رطباً، بدليل ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه مرَّ بقبرين، فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبانِ في القَبْرِ، ومَمَا يُعَذَّبَانِ بِكَبِيرَةٍ. فَأَمَّا أَحَدَهُمَا كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ٠٠"الحديث (٤).

(١) تفسير القشيرى٢/٣٥٠.
(٢)تفسير البغوى ١٣٦/٣.
(٣)فتح الباري ٦٠٢/٦.
(٤)بحر العلوم للسمرقندى٢/ ٢١٢.

ورَدَّ الأمام الرازى على قول هؤلاء بقوله: واعلم أن القائلين بأن هذه الجمادات والحيوانات تسبح الله بألفاظها أضافوا إلى كل حيوان نوعا آخر من التسبيح وقالوا: إنها إذا ذبحت لم تسبح مع أنهم يقولون إن الجمادات تسبح الله، فإذا كان كونه جمادا لا يمنع من كونه مسبحا، فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له من التسبيح، وقالوا أيضا: إن غصن الشجرة إذا كسر لم يسبح، وإذا كان كونه جمادا لم يمنع من كونه مسبحا فكسره كيف يمنع من ذلك، فعلم أن هذه الكلمات ضعيفة والله أعلم. (١)

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: وقوله:" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" أى: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ أى: لا تفقهون تسبيحهم- أيها الناس- لأنها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد.

وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري وغيره، عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وفي حديث أبى ذر: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات، فسمع لهن تسبيح كحنين النحل. وكذا في يد أبى بكر وعمر وعثمان- رضى الله عنهم- وهو حديث مشهور في المسانيد.

ثم قال ويشهد لهذا القول آية السجدة في أول سورة الحج- وهو قوله- تعالى-:

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ.." الآية (٢).

(١)مفاتيح الغيب ٢٠ /٣٤٨.

(٢)سورة الحج آية ١٨.

وقال القرطبي: قوله- تعالى-:" تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ " أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح. وقوله وَمَنْ فِيهِنَّ يريد الملائكة والإنس والجن، ثم عمم بعد ذلك الأشياء كلها في قوله: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ".

واختلف في هذا العموم هل هو مخصص أولا. فقالت فرقة: ليس مخصوصا، والمراد به تسبيح الدلالة، كل محدث يشهد على نفسه بأن الله- عز وجل- خالق قادر.

وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر: ولا يفقهونه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصفة والدلالة، لكان أمرا مفهوما، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يُفْقَه.

ويستدل لهذا القول من الكتاب بقوله تعالى:" وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ " .

وقوله تعالى: "وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ".

ثم قال: فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك، ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة، فأى تخصيص لداود، وإنما ذلك تسبيح المقال، بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح. وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء فالقول به أولى .

والذي تطمئن إليه النفس أن التسبيح حقيقى وبلسان المقال، لأن هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، ولأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤيد ذلك. [1]

❁❁❁

(١)التفسير الوسيط ٨/٣٥٩ – ٣٦٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد ان لا أله إلا الله شهادة نرجو أن تدخر لنا فى يوم الدين ن وأشهد أن محمداً رسول الله جاءنا بالحق المبين وهدانا إالى صراط مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ٠

وبعد هذا العرض السريع الذى رأينا فيه عجيب قدرة الله فى خلقه، أوضح – وبالله التوفيق – النتائج المستخلصه من البحث

وهى كالتالى:

أولا: كل ما ورد من آيات قرآنية و أحاديث نبوية وبعد ذكر الأدلة والاعتراضات والرد عليها تبين بما لا يدع مجالا للشك أن جميع الكائنات تنطق بوحدانية الله وتُسبحُهُ بلسان المقال، وليس معنى هذا أنها لاتنطق بلسان الحال أيضا بل إن حالها أفصح نطقا من مقالها، فكل ما فى الكون يدل بعجيب صنعه على وجود الله وقدرته ٠

وفى كل شىء له آية ۞ ۞ ۞ تدل على أنه الخالق

فهذه الآيات التى يراها الأنسان فى سطور الكون تبعث في النفوس الخشية والرهبة من الخالق– عز وجل– لأنها تصرح تصريحا بليغا بأن كل جماد، وكل حيوان، وكل طير، وكل حشرة، بل كل كائن في هذا الوجود يسبح بحمده– تعالى–.

وهذا التصريح يحمل كل إنسان عاقل على طاعة الله، وإخلاص العبادة له، ومداومة ذكره، حتى لا يكون– وهو الذي كرمه ربه وفضله– أقل من غيره طاعة لله– تعالى–.

ثانيا: هناك صلة وثيقة بين الإنسان والكائنات الأخرى، فأكثر الأحجار والأشجار تشارك الإنسان الصالح العبادة وتشهد له بالخير،

وبعض الأحجار والأشجار تتناسب فى صفاتها مع غير الصالحين فيختبئون خلفها ولا تفصح عن وجودهم كحال شجر الغرقد مع اليهود ٠

ثالثا: أيها المسلم لا تحتقر شيء من مخلوقات الله من حيوان أو نبات أو غير ذلك فربما كان أفضل منك عبادة لله وتسبيحا له، بل لابد أن نؤمن بأن هذه الأشياء خلق من خلق الله، سخرها الله لك لستخدمها فى حدود ما أمر الله به، دون تحقير أو أهانة لها ٠ فالحيوانات أمرنا رسول الله بالإحسان لها والرأفة بها حتى أثناء ذبحها فقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»(١)

وأيضا أثناء ركوبها، فربما كانت هذه الحيوانات أفضل من ذابحها ومن راكبها عند الله، والطير يسبح لله تعالى ويؤمن به ويتحدث عن قضية التوحيد ويدافع عنها دفاعاً يعجز العلماء أن يأتوا بمثله كما فى قوله تعالى: "وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" (٢)

والجبال كذلك دعا الله تعالى إلى النظر والتأمل والتدبر فى عظيم صنعها وبديع خلقها و عجائب قدرة الله فيها فقال سبحانه:" أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ"(٣) أما آن للناس أن يقتدوا بهذه العجماوات والجمادات، ويستجيبوا لرب الأرض والسماوات، ويعرفوا له قدره ويؤدوا ما عليهم من شكره، وأن يطهروا القلوب من دنس الذنوب

(١)أخرجه مسلم كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح ١٥٤٨/٣١ح ١٩٥٥(٥٧).
(٢)النمل ٢٤ –٢٥.
(٣)الغاشية آية ١٧ –١٩.

بذكره وطاعته وتوحيده، وأن يعرفوا نبيه حقا، ويقتدوا بأوامره صدقاً،حتى نفوز بالرضا، ونسعد بجنةٍ عرضها السماوات والأرض غداً ٠

وبعد أن عشنا فى رحاب السنة والقرآن واقتبسنا من أنوارهما ما يضيء العقول ويرشدها إلى طريق الهداية والرضوان، أسأل الله أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع وأن يغفر لى خطأى وزللى، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

د/ أحمد محمود بكرى
خادم السنة بجامعة الأزهر

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ارشاد السارى لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني المصري، أبو العباس، (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ ٠
- بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) دار الكتب العلمية ٠
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)تحقيق مجموعة من المحققين ط دار الهداية.
- تحفة الأحوزى بشرح جامع الترمذي لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت٠
- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)حققه جماعة من العلماء ط دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى
- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) لمحيي السنة، أبو محمد الحسين الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)تحقيق عبد الرزاق المهدي ط دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

• تفسير القشيري (لطائف الإشارات) لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)تحقيق إبراهيم البسيوني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.
• تقريب التهذيب لأبى الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد – سوريا الطبعة: الثالثة، ١٩٩١م
• تهذيب الكمال في أسماء الرجال٠ليوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)لمحمد عوض مرعب ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
• التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)ط مكتبة الإمام الشافعي – الرياض الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م
• جمهرة اللغة ٠لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(٢١هـ)تحقتق منير بعلبكي ط دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م •
• حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ٠لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ) الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة
• حاشية السندي على سنن النسائي٠ لأبى الحسن، نور الدين السندي

(المتوفى: ١١٣٨هـ) الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ .١٩٨٦ ٠

• دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة٠لأحمد بن الحسين بن علي، أبى بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى –١٤٠٥ هـ ٠

• دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

• زهرة التفاسير ٠لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي ٠

• سنن ابن ماجه ٠ لابن ماجه محمد بن يزيد القزويني،(المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي ٠

• سنن أبي داود٠لأبى داود سليمان بن الأشعث السّاِجسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ٠

•

• سنن الترمذي ٠ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر٠

• سنن الدارمي٠لأبى محمد عبد الله الدارمي، التميمي السمرقندي (ت

٢٥٥هـ)تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ٠

• السنن الصغرى للنسائي٠ لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدةالناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة:الثانية٠

• السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م

• شرح السنة محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت الطبعة: الثانية- ١٩٨٣م

• شرح مشكل الآثار٠ لأبى جعفر الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) حققه وقدم **له:** (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى – **١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م**

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية٠ المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارالناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

• صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ٠

• صحيح ابن خزيمة لأبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري

(المتوفى: ٣١١هـ) حَققهُ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

• صحيح البخاري ٠لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ٠

• صحيح مسلم٠ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠

• العرف الشذى شرح سنن الترمذى لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ) تصحيح: الشيخ محمود شاكر الناشر: دار التراث العربي –بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

• عمدة القاري شرح صحيح البخاري٠لأبى محمد محمود الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ٠

• غريب الحديث ٠لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق(ت ٨٥)المحقق:د.سليمان إبراهيم محمد العايد ط جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

• عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته لمحمد شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ٠

• فتح الباري شرح صحيح البخاري٠ المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه

وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ٠
• قوت المغتذي على جامع الترمذي ٠ لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)الناشر: رسالة الدكتوراة – جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة عام:١٤٢٤هـ٠
• الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار٠ لأبى بكر بن أبي شيبة، عبد الله العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ٠
• كشف المشكل من حديث الصحيحين لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: علي حسين البواب الناشر: دار الوطن – الرياض
• مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن محمد، نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م
• المستدرك على الصحيحين ٠ لأبى عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
• مسند أبو يعلى أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤
• المعجم الأوسط٠ لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)المحقق: طارق بن عوض الله الناشر: دار الحرمين – القاهرة ٠

• مفاتيح الغيب أو التفسير الكبيرالمؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ٠
• معجم مقاييس اللغة٠لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
• المعجم الكبير٠ لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ط مكتبة ابن تيمية – القاهرة٠
• المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج٠ لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ ٠
موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي المؤلف: عبد اللطيف عاشور الناشر: القاهرة ٠
• موطأ الإمام مالك٠ لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) خرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان٠
• ميزان الاعتدال في نقد الرجال المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م
• النهاية في غريب الحديث والأثر٠لمجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

فهرس الموضوعات

المقدمة ٧٣
المبحث الأول: ذكر ما يتعلق بإرهاصات النبوة:-------٧٧
المبحث الثانى: ذكر ما يتعلق بمعجزات النبي ﷺ: -----٧٩
المبحث الثالث: ما أخبر به النبي ﷺ وليس بمعجزة:----١٠١
المبحث الرابع: شهادة الجمادات لأصحاب الطاعات----١١٥
المبحث الخامس: ما يتعلق بأشراط الساعة:---------١٢٢
المبحث السادس: هل كلام هذه الأشياء على الحقيقة
أم المجاز؟ ---------- ١٣٢
الخاتمة ---------- ١٣٨
قائمة المصادر والمراجع---------- ١٤١
فهرس الموضوعات ---------- ١٤٩